ابن برجان الإشبيلي وكتابه شرح أسماء الله الحسنى

أ.عبد الكريم رقيق

مسجد الأمير عبد القادر

تمهيد:

تزخر العديد من المكتبات الإسلامية بكم هائل من المخطوطات. ولكن للأسف لم يحض كثير من هذه المخطوطات بالعناية الكاملة من قبل المهتمين والباحثين، وقد أردت نفض الغبار عن واحد من هذه المخطوطات وأعرف بها وبصاحبها.

فأما صاحب المخطوطة فهو أبو الحكم ابن برجان عالم له مشاركة في فنون مختلفة وهو أحد العارفين الأقطاب الذي شغل الناس في أواخر القرن السادس. وقد حاولت تتبع أخبار هذا الرجل من مختلف المصادر للتعريف به.

أما كتابه الموسوم بـ"شرح أسماء الله الحسنى". فهو من أهم المؤلفات التي تركها لنا هذا العالم. وقد وقفت عليه مخطوطا بالمكتبة الوطنية بتونس. وبمخطوطات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر. وقد حاولت التعريف بهذا المخطوط واصفا إياه من الجانب الشكلي أي من حيث خطه وحجمه واسمه. ومن الجانب المعرفي أي المحتوى حيث يعتبر هذا الكتاب من أهم الكتب المتخصصة في شرح الأسماء التي أنتجها أحد علماء الغرب الإسلامي عموما والصوفية منهم على وجه أخص. وقد شغل مؤلفه الساحة الفكرية والسياسية مدة طويلة. ورغم هذه الأهمية العلمية والتاريخية للكتاب إلا أنه لم يخرج للناس في دراسة علمية. لذا ارتأيت أن ألقي نظرة عن هذا الكتاب وأعرف بصاحبه :

أولا.التعريف بابن برجان:

أ– اسمه ونسبته: لقد تضاربت آراء المترجمين له في اسمه. فسماه فريق عبد الرحمان كما ذكر ابن الآبار ومحمد مخلوف[1]. ومنهم من سماه عبد السلام كما فعل السيوطي والكتبي[2]. ومنهم من جعل الاسمين لشخصين منفردين. ومنهم من اعتبره اسما لشخص واحد. وأغلب المترجمين له يطلقون عليه أبا الحكم عبد السلام بن عبد الرحمان بن محمد بن عبد الرحمان. ويجعلون وفاته سنة ستة وثلاثين وخمسمائة. وطائفة منهم يطلقون عليه عبد السلام بن عبد الرحمان بن عبد السلام بن عبد الرحمان بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمان ويجعلون وفاته سنة سبع وعشرين وستمائة. وطائفة تترجم لشخصين وتنعتهما

بأوصاف متقاربة، فميزت بين عبد الرحمان وعبد السلام. ويكاد جمهور المترجمين له يتفقون مع ابن الآبار في سنة الوفاة، إلا أنهم يختلفون معه في الاسم الأول، رغم أن بعضهم صرح بالنقل عنه كالذهبي في السير، واليافعي في مرآة الجنان، ويظهر أنهما شخصان متميزان خلط بينهما بعض المترجمين، ويزكي هذا الاحتمال السيوطي فقد ترجم للمفسر في الطبقات، وترجم للغوي في البغية[3] وجعلهما مختلفين في الاسم وسنة الوفاة . بينما طابق بينهما في اللقب فقط (ابن برجان) معتبرا أن هذا اللقب مخفف من أبي الرجال. وقد ضبطه ابن خلكان قبله فقال: بَرّجان (بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء بعدها جيم وبعد الألف نون) .

وذكر لسان الدين الخطيب ابن برجان باسم أبي الحكم بن برجان وهو يترجم لمحمد بن الحسن بن أحمد بن يحي الأنصاري الخزرجي قائلا: " امتحن من قبل علي بن يوسف بن تاشفين فحمل إليه صحبة أبي الحكم بن برجان، وأبي العباس بن العريف، وضرب بالسوط عن أمره، وسجنه وقتا ..."[4].

2ــ مولده ونشأته: ولم تذكر كتب التراجم تاريخ مولده رحمه الله ولا كيف نشأ، لكن الراجح أن أصله من إفريقيا كما ذكر الذهبي لكنه انتقل في طفولته أو انتقلت عائلته إلى الأندلس فيقول الذهبي:" الشيخ الإمام العارف القدوة أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي الإفريقي ، ثم الأندلسي الإشبيلي شيخ الصوفية."[5] نشأ ابن برجان في بيئة الأندلس الخصبة بالعلم والمعرفة وتتلمذ على يد العديد من علماء عصره وممن رشحت أسماؤهم لنا المحدث ابن منظور[6]، يقول الذهبي: "سمع صحيح البخاري من أبي عبد الله بن أحمد بن منظور صاحب أبي ذر الهروي، وحدث به."[7] وابن منظور هو أبو عبد محمد بن منظور القيسي الإشبيلي طلب الفقه والحديث ببلده ثم رحل فسمع من أبي ذر الهروي وغيره ثم انصرف للأندلس واحتيج إليه وسمع منه الناس. أخذ عنه أبو علي الجياني وأبو الحسن شريح وجماعة. توفي سنة **469هـ**[8]

3 ــ آثاره: وأقصد بآثاره التلاميذ والمؤلفات فأما التلاميذ فإننا نجد الإمام ابن برجان رحمه الله قد تتلمذ على يديه العديد من العلماء منهم أبو محمد عبد الحق الإشبيلي وهو الإمام الحافظ البارع المجود العلامة أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمان بن عبد الله بن

الحسين بن سعيد الأزدي الأندلسي الإشبيلي المعروف في زمانه بابن الخراط المولود سنة 514هـ والمتوفى ببجاية سنة 581هـ[9].

ومن تلاميذه أبو عبد الله بن خليل وهو محمد بن عبد الله بن خليل القيسي الغرناطي الإمام الجليل الحافظ العالي الرواية المتوفى بمراكش سنة 570هـ[10].

ومن التلاميذ أيضا القنطري وهو العلامة الحافظ أبو القاسم محمد بن عبد الله بن أحمد بن مسعود ابن مفرج الأندلسي الشلبي المعروف بالقنطري سمع أبا بكر بن غالب وأبا الحسين بن صاعد وباشبيلية أبا الحكم بن برجان والقاضي ابن العربي وبقرطبة يونس بن مغيث وابن أبي الخصال[11].

أما مؤلفاته فمنها كتاب في تفسير القرآن بعنوان" تنبيه الأفهام إلى تدبر الكتاب والتعرف على الآيات والأنباء العظام "يقول عنه حاجي خليفة: "للشيخ الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان اللخمي الإشبيلي المتوفى سنة 627هـ، وهو تفسير كبير في مجلدات ذكر فيه الأسرار والخواص ما هو مشهور فيما بين أهل هذا الشأن وقد استنبطوا من رموزاته أمورا فأخبروا بها قبل الوقوع."[12] وهذا الكتاب لازال مخطوطا وتوجد منه نسخة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم 242ك[13].

ويقول عنه صديق بن حسن القنوجي:" وافرد ابن برجان كتابا فيما تضمنه من معاضدة الأحاديث"[14].

ومنها كتاب في تفسير الأسماء الحسنى وصفه ابن الزبير بالشهير وهو الذي سنشير إليه لاحقا.

وله كتاب آخر وهو" الإرشاد " قيل عنه :"أنه قصد فيه على استخراج أحاديث صحيح مسلم بن الحجاج من كتاب الله تعالى فتارة يريك الحديث من نص آية ، وتارة من محتواها ومفهومها، وتارة من إشارتها أو من مجموع آيتين مؤتلفتين أو مفترقتين، ومن عدة آيات إلى أشباه هذه المآخذ"

وقد نسب إليه السيوطي كتابا في اللغة ردا على ابن سيدة ولعله يكون من تأليف حفيده، فيقول السيوطي :" وله رد على ابن سيدة، شرح أسماء الله الحسنى في مجلدين ، كتاب الإرشاد"[15]

هذه بعض المؤلفات التي نسبت لابن برجان وليس من المستبعد أن تكون له تآليف أخرى ضاعت في أيام فتنة المريدين.

4ـ فتنته ووفاته: لقد عاش ابن برجان في أيام دولة المرابطين أو دولة الفقهاء وهي الدولة التي بوأت الفقهاء مكانة عليا وأحرقت كتب أبي حامد الغزالي وعرفت في نهايتها ثورة المريدين بتزعمهم ابن قسي في الأندلس.

لهذا تعرض ابن برجان في آخر حياته لفتنة عظيمة ابتلي بها هو وأبو العباس بن العريف كما يذكر ذلك ابن بشكوال:" سعى عليه سعاية باطلة عند علي بن يوسف بن تاشفين فأحضره إلى مراكش فلما وصل إليها قال: لا أعيش إلا قليلا ولا يعيش الذي حضرني بعدي إلا قليلا. فعقدوا له مجلس مناظرة وأوردوا عليه المسائل التي أنكروها فأجاب وخرجها مخارج محتملة فلم يرضوا منه بذلك لكونه لم يفهموا مقاصده وقرروا عند السلطان أنه مبتدع فاتفق أنه مرض بعد أيام قليلة ومات في المحرم. واتفق أن علي بن يوسف مات بعده في رجب سنة 37. وكان لما قيل أنه مات أمر أن يطرح على مزبلة بغير صلاة ولا دفنه بحسب ما قرره معه من طعن عليه من المتفقهة فاتفق أن بعض أهل الفضل لما بلغته وفاته أرسل عبدا أسودا نادى جهارا في الأسواق احضروا جنازة فلان فامتلأت الرحاب بالناس فغسلوه وصلوا عليه ودفنوه"[16]. وذكر القصة بشيء من التفاصيل صاحب الاستقصاء فقال :" وكان أبو الحسن علي بن حرزهم يومئذ بمراكش فدخل عليه رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم فقال له أبو الحسن إن كنت تبيع نفسك من الله فافعل ما أقول لك فقال مرني بما شئت أفعله فقال له : أن تنادي في طرق مراكش وأسواقها يقول لكم ابن حرزهم احضروا جنازة الشيخ الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان ومن قدر على حضورها ولم يحضرها فعليه لعنة الله ففعل ما أمره فبلغ ذلك أمير المسلمين فقال من عرف فضله ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله ."[17]

وذكر الذهبي أن سبب الفتنة خوف ابن تاشفين من أن يثور عليه ابن برجان وابن العريف وهذا يوحي بما لهما من القبول لدى العامة ، حيث يقول في السير: "أخذ هذان[18] وغربا واعتقلا توهم ابن تاشفين أن يثورا عليه كما فعل ابن تومرت."[19]

وقد اختلف في سنة وفاته فما ذكره صاحب شجرة النور أنه توفي سنة 530هـ بمراكش مغربا عن وطنه، وقبر أبي العباس بن العريف بإزاء قبره[20]، وجاء في سير أعلام النبلاء أن وفاته كانت سنة 536هـ[21]

وذكر السيوطي أن وفاته كانت سنة 627 هـ. والصحيح أن في هذه السنة توفي الحفيد، وقد تحرفت سنة وفاته في مفتاح السعادة إلى727هـ. وفي كشف الظنون إلى 627هـ[22].

ويقول السلاوي: "مدفون بمراكش برحبة الحنطة منها وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال."[23]

5 – مكانته: لقد جمع الإمام ابن برجان بين الحديث، وعلم الكلام، والتصوف. ووصفه ابن الزبير بأنه: " أخذ من كل علم بأوفر حظ، مؤثر لطريقة التصوف وعلم الباطن، متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس، متقيدا في نظره بظواهره الكتاب والسنة، بريئا من مردى تعمق الباطنية، بعيدا عن قحية الظاهرية شديد التمسك بالكتاب والسنة".

ويكاد يجمع كل من ترجم له بالإمامة في الدين، والورع والزهد واستقامة الحال يقول عنه ابن الآبار:"كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة"[24] ويقول عنه الذهبي:" الشيخ الإمام العارف القدوة أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي الإفريقي"[25]. وقال عنه حاجي خليفة:" للشيخ الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان"[26]

وقال عنه ابن فرتون :"كان من أجل رجال المغرب إماما في علم الكلام ولغات العرب والأدب، عارفا بالتأويل والتفسير نحويا بارعا نقادا ماهرا إماما في كل ما ذكر، لا يماثل بقرين مشاركا في علم الحساب والهندسة وغير ذلك . قد أخذ من كل علم بأوفر حظ."[27]

لكن يصعب أن تجد حلقة وصل بين أقطاب التصوف في تلك الفترة خاصة بين ابن برجان وابن العريف وابن قسي، وقد حقق الباحثون الرسائل التي تبادلها هؤلاء الأقطاب وكشفوا لنا خلالها أن ابن برجان يمثل الاتجاه الوسط بينما يميل ابن العريف إلى المهادنة

وقد اختلف في سنة وفاته فما ذكره صاحب شجرة النور أنه توفي سنة 530هـ بمراكش مغربا عن وطنه، وقبر أبي العباس بن العريف بإزاء قبره[20]. وجاء في سير أعلام النبلاء أن وفاته كانت سنة 536هـ[21]

وذكر السيوطي أن وفاته كانت سنة 627 هـ. والصحيح أن في هذه السنة توفي الحفيد، وقد تحرفت سنة وفاته في مفتاح السعادة إلى727هـ. وفي كشف الظنون إلى 627هـ[22].

ويقول السلاوي: "مدفون بمراكش برحبة الحنطة منها وهو الذي تقول له العامة سيدي أبو الرجال."[23]

5 – مكانته: لقد جمع الإمام ابن برجان بين الحديث، وعلم الكلام، والتصوف، ووصفه ابن الزبير بأنه: " أخذ من كل علم بأوفر حظ، مؤثر لطريقة التصوف وعلم الباطن ، متصرفا في ذلك، عارفا بمذاهب الناس، متقيدا في نظره بظواهره الكتاب والسنة، بريئا من مردى تعمق الباطنية، بعيدا عن قحية الظاهرية شديد التمسك بالكتاب والسنة".

ويكاد يجمع كل من ترجم له بالإمامة في الدين، والورع والزهد واستقامة الحال يقول عنه ابن الآبار:"كان من أهل المعرفة بالقراءات والحديث والتحقيق بعلم الكلام والتصوف مع الزهد والاجتهاد في العبادة"[24] ويقول عنه الذهبي:" الشيخ الإمام العارف القدوة أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن أبي الرجال محمد بن عبد الرحمن اللخمي المغربي الإفريقي"[25]. وقال عنه حاجي خليفة:" للشيخ الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن المعروف بابن برجان"[26]

وقال عنه ابن فرتون :"كان من أجل رجال المغرب إماما في علم الكلام ولغات العرب والأدب، عارفا بالتأويل والتفسير نحويا بارعا نقادا ماهرا إماما في كل ما ذكر، لا يماثل بقرين مشاركا في علم الحساب والهندسة وغير ذلك ، قد أخذ من كل علم بأوفر حظ"[27]

لكن يصعب أن نجد حلقة وصل بين أقطاب التصوف في تلك الفترة خاصة بين ابن برجان وابن العريف وابن قسي، وقد حقق الباحثون الرسائل التي تبادلها هؤلاء الأقطاب وكشفوا لنا خلالها أن ابن برجان يمثل الاتجاه الوسط بينما يميل ابن العريف إلى المهادنة

وينحو ابن قسي إلى الثورة وهو الذي تزعمها فيما بعد هذا وقد وصف ابن العريف الإمام ابن برجان في رسائله "بالشيخ الفاضل الإمام "والامام أبي الحكم شيخي وكبيري" .

وإذا كان بعض الباحثين قد أشار إلى الجفوة الحاصلة بين ابن العريف وابن برجان، فإن الدكتور عبد السلام الغرميني استشف من الرسائل التي وجهها ابن العريف لابن برجان. أن أبا الحكم بن برجان أرفع مكانة حتى وصف بأنه (غزالي الأندلس) ومن المدرسة البرجانية انبثقت المدرسة العريفية .

هذا النشاط الفكري وهذه العلاقات التي تجمع بين أقطاب الصوفية بالأندلس والخطورة التي شكلتها ثورة المريدين دفعت بالدولة المرابطية إلى استقدام ابن العريف وابن برجان وغيرهم إلى مراكش، وعقدت لابن برجان مناظرة أورد عليه الفقهاء مسائل ينكرونها فأجاب وخرجها مخارج محتملة فلم يرضوا منه بذلك لكونهم لم يفهموا مقاصده وقرروا عند السلطان انه مبدع، ولأجل هذا يقول ابن حجر في حقه :" عابوا عليه الإمعان في علم الحرف حتى استعمله في تفسير القرآن ."[28]

التعريف بكتاب شرح أسماء الله الحسنى:

لقد اعتنى العديد من العلماء بالتأليف في الأسماء الحسنى، منهم الغزالي الذي ألف كتابه المقصد الأسنى والقرطبي الذي صنف كتابه الأسنى وابن القيم الذي ألف كتاب شرح أسماء الله الحسنى، وشرح أسماء الله الحسنى للحليمي وشرح أسماء الله الحسنى للبيهقي ومن هؤلاء أيضا الإمام أبي الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن برجان الذي ألف كتابا بعنوان : شرح أسماء الله الحسنى، تناول الأسماء الحسنى وفق منهج جامع لم يسبق إليه فيما أعلم.

وهذا الكتاب لم يخدم خدمة علمية تليق به لذا فإني أضع بين يدي الباحث بعض الإشارات حول الكتاب من جانب أماكن تواجده ومن الجهة الوصفية له لعلي أقدم للباحث شيئا من الإفادة لأجل خدمة هذا الكتاب.

وللملاحظة فإن ابن برجان قد أشار إلى هذا الكتاب في عدة مناسبات في تفسيره، وبذلك يظهر أنه ألف هذا الكتاب قبل التفسير.

أما تواجد الكتاب فإنه لحد الآن يعتبر في حكم المخطوط الذي لم يخدم اللهم إلا ما علمت عن طريق الانترنيت أنه طبع في إسبانيا دون أن تقوم حوله دراسة تذكر أو تحقيق

يفي بقيمة الكتاب فقد قام بدراسته والتقديم له بوريفيكاثيون دي لاتوري ونشرته بمدريد : الوكالة الأسبانية للتعاون الدولي سنة **2000**. وقد علمت أن نسخه محدودة جدا.

ومن هنا يمكن القول إن الكتاب لم يسبق تحقيقه وإخراجه. أضف إلى ذلك أن المؤلف رحمه الله من كبار علماء الصوفية بالأندلس والمغرب ولم يحظ بدراسات معتبرة حول حياته.

أما المخطوط فأخص أماكن تواجده في الآتي :

1ــ نسخة بمكتبة مخطوطات وزارة الشؤون الدينية بالجزائر تحت رقم:**609** وهي نسخة كاملة .

2ــ ودار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم **3547**. وهي نسخة كاملة بخط واضح عدد صفحاتها **360** صفحة بها شيء يسير من التلف.

3 ــ نسخة بمكتبة الأوقاف بحلب سوريا تحت رقم **(5) 3542/ 2140** ، وقد علمت أن المخطوط قد ضم إلى المكتبة الأسدية . ولم أتمكن من الإطلاع عليه.

4 ــ نسخة بمكتبة عارف حكمت بالمدينة المنورة تحت رقم: **04** أدعية .

وذكر أبو العلا عفيفي أن المخطوطين: "شرح معاني أسماء الله الحسنى " و"ترجمان لسان الحق المبثوث في الأمر والخلق "الموجودين بألمانيا وفرنسا كتاب واحد.[29]

منهج الكتاب:

تناول الإمام ابن برجان أسماء الله الحسنى من ثلاثة جوانب: من جانب اللغة ومن جانب التأصيل الشرعي ومن جانب التطبيق العملي وقد زاد على التسعة والتسعين، يقول عنه حاجي خليفة :"وهو كتاب كبير جمع فيه من أسماء الله تعالى ما زاد على المائة والثلاثين كلها مشهورة مروية وفصّل الكلام في كل اسم على ثلاثة فصول الأول في استخراجها والثاني في الطريق إلى تقرب مسالكها الثالث في الإشارة إلى التعبد بحقائقها"[30].

فتمكن الملاحظة أنه تناول كل اسم من الأسماء الحسنى من نواح ثلاثة:

1ــ الناحية اللغوية: حيث أورد جوانب الاشتقاق والميزان الصرفي وأيد قوله بشواهد اللغة.

2ـــ الناحية الشرعية: بمعنى الدليل من القرآن أو من السنة على صحة إطلاق الاسم على الله. وهنا نلاحظ أنه تجاوز العدد المذكور في الحديث: " لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة وهو وتر يحب الوتر "[31].

ومسألة زيادة الأسماء الحسنى على التسعة والتسعين مسألة خلافية ودليل القائلين بالزيادة ومنهم ابن برجان رحمه الله الحديث الذي أخرجه البيهقي عن ابن مسعود رضي الله الذي فيه :"...أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو أنزلته في كتابك أو علمته أحدا من خلقك أو استأثرت به في علم الغيب عندك..." فقال من الأسماء ما لا يعلمه إلا الله تعالى .

ومن هنا زاد ابن برجان وهو يعدد الأسماء الحسنى على المذكور في الحديث واعتبر أن المرجع في إطلاق الأسماء الله هو أن تكون ألفاظا حسنة تليق بالله تعالى ومن البديهي أن يتجاوز عدد أسمائه تعالى ما ذكر في الحديث، وقد تابعه في هذا العديد من العلماء وجمهور الصوفية. يقول ابن العربي:"وعددناها على ما ورد في الكتاب والسنّة، وذكره الأئمة فانتهت إلى ستة وأربعين ومائة ."[32] وقد أدخل ابن العربي في أسماء الله الطيّب والنظيف والمستطيع والسيد والطبيب وغيرها...، وقد انتقد ابن الحصار[33] ابن العربي حيث يقول: واقتدى في ذلك بابن برّجان، إذ ذكر في الأسماء (النظيف) وغير ذلك مما لم يرد في كتاب ولا سنة.

إلاّ أنّ القرطبي المفسر يردّ عليه مدافعا عن رأي ابن العربي وابن برجان: "أما ما ذكر من قوله (مما لم يرد في كتاب ولا سنة) فقد جاء في صحيح مسلم (الطيّب)[34] وخرج الترمذي (النظيف)[35] ."[36]

ويقول الألوسي: "ونقل أبو بكر بن العربي عن بعضهم أن له سبحانه وتعالى ألف اسم ثم قال: وهذا قليل وهو كما قال ز وعن بعضهم أنها أربعة آلاف، وعن بعض الصوفية أنها لا تكاد تحصى "[37].

3 ـــ الجانب العملي: وأقصد بذلك الإشارة إلى التعبد بحقائقها وهنا أظهر ابن برجان صوفيته، فاستخرج من الأسماء الحسنى أسرارا عجيبة، وأن فيها من البركة ما فيها وأن الإنسان إذا واظب علَى ذكر الله بها حصل له العجائب ما لا يعلمه إلا الله وذلك بصفاء نفسه وطهارة روحه.

وهذا المسلك مشهور عند الصوفية ومستدهم فيه قول الله تعالى :﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾[الأعراف:180]. يقول الغزالي: "وسئل بعض العلماء عن علم الباطن ما هو فقال: هو سر من أسرار الله تعالى في قلوب أحبابه، لم يطلع عليه ملكا ولا بشرا وقد قال ﷺ: "إن من أمتي محدثين ومعلمين ومكلمين وإن عمر منهم"[38].

ولهذا عاب البعض على ابن برجان التعمق في هذا المسلك حيث يقول ابن تيمية: "وما وقع في كلام أبي طالب من الحلول سرى بعضه إلى غيره من الشيوخ الذين أخذوا عنه كأبي الحكم بن برجان ونحوه"[39].

وليس عجيبا على عارف كابن برجان أن يحصل له مثل هذا العلم فقد ذكر العديد عنه أنه استخرج أسرارا من القرآن يقول الآلوسي :" وفي البحر كان شيخنا أبو جعفر بن الزبير يحكي عن أبي الحكم بن برجان أنه استخرج من قوله تعالى: ﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض﴾[40] افتتاح بيت المقدس معينا زمانه ويومه وكان إذ ذاك بيت المقدس قد غلبت عليه النصارى، وإن ابن برجان مات قبل الوقت الذي عينه للفتح وأنه بعد موته بزمان افتتحه المسلمون في الوقت الذي عينه أبو الحكم"[41].

الحاجة إلى هذا الكتاب:

لقد رجع العديد من العلماء لكتاب شرح أسماء الله الحسنى لابن برجان واعتمدوه في مراجعهم منهم ابن العربي والقرطبي والسيوطي والنووي وأبي حيان والآلوسي ومحمد الطاهر بن عاشور[42] وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

ومن هنا نخلص إلى أن هذا الكتاب يعتبر من المخطوطات الهامة التي لخصت منهج علماء اللغة والعقيدة وأردفت بطريقة المتصوفة في فهم الأسماء الحسنى ومنهج التعبد بها. لذا تبرز أهمية الكتاب وضرورة خدمته وإخراجه للمكتبة .

ويزيد الأمر أهمية أنه من نوادر علماء الغرب الإسلامي والتي تعتبر كتبهم من هذا النوع لم تخرج للعيان لحد الساعة مثل الكتاب الأسنى لابن العربي وكتاب شرح أسماء الله الحسنى للقرطبي.

الهوامش:

---

1 ـــ محمد مخلوف. شجرة النور الزكية، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، ص 132.

2 ـــ أنظر: طبقات المفسرين للسيوطي، دار الكتب العلمية، ص57، وفوات الوفيات للكتبي ج2 ص 323 . بغية الوعاة ص306

3 ـــ السيوطي، بغية الوعاة ، ص306 .

4 ـــ الخطيب، الإحاطة في أخبار غرناطة، ج3 ص19 .

5ـــ الذهبي، سير أعلام النبلاء، ت: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة، ج20 ص72.

6 ـــ مخلوف،شجرة النور، ص 132 .

7 ـــ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج20 ص73 .

8 ـــ انظر: مخلوف ، شجرة النور ص 120.

9ـــ انظر ترجمته في : سير أعلام النبلاء للذهبي ج21ص 198 وشجرة النور الزكية لمخلوف ص156 .

10 ـــ انظر ترجمته : شجرة النورلمخلوف، ص 151 .

11 ـــ انظر : سير أعلام النبلاء للذهبي، 455/20 ، شجرة النورلمخلوف، ص 132 .

12 ـــ حاجي خليفة، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون بيروت: دار الفكر، سنة 1402هـــ ، 1982م، ج1 ص70 .

13 ـــ انظر: http://www.kitabat.com

14 ـــ القنوجي، أبجد العلوم، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان سنة : 1978 تحقيق : عبد الجبار زكار، ص502

15 ـــ هدية العارفين ج5 ص570

16 ـــ ابن حجر، لسان الميزان، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت لبنان، ط2، 1390هـــ 1971 م، ج4ص14 .

17 ـــ السلاوي ، الاستقصاء، ج1 ص130 .

18 ـــ يقصد ابن برجان وابن العريف

19 ـــ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج 20 ص72 .

20 ـــ محمد مخلوف، شجرة النور، ص 132 . إنه توفي سنة 536 ه.

21 ـــ انظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ج20 ص58

22 ـــ إنظر كشف الظنون لحاجي خليفة 70/1

23 ـــ السلاوي ، الاستقصاء ، ج1 ص130 .

24 ـــ انظر: السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام ج 8ص473

25 ــ الذهبي، سير أعلام النبلاء ج20 ص72 .

26 ــ حاجي خليفة، كشف الظنون ج1 ص70 .

27 ــ السملالي، الإعلام بمن حل بمراكش وأغمات من الأعلام، ج8 ص473

28 ــ ابن حجر، لسان الميزان، ج4ص14 .

29 ــ انظر: http://www.kitabat.com

30 ــ حاجي خليفة، كشف الظنون، ج2 ص1031

31 ــ رواه الشيخان: انظر البخاري، كتاب الدعوات، باب لله عز وجل مائة اسم غير واحد ج5 ص 2354، وصحيح مسلم، كتب الذكر والدعاء، باب أسماء الله وفضل من أحصاها،ج8 ص63.

32 ــ أبو بكر بن العربي، أحكام القرآن، ج2، ص808 .

33 ــ هو أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى الأنصاري، فقيه إشبيلي الأصل توفي بالمدينة المنورة سنة 610هـ من كتبه أصول الدين، البيان في تنقيح البرهان، انظر التكملة للمنذري ج2 ص309، الأعلام للزركلي ج4 ص330.

34 ــ رواه مسلم عن أبي هريرة بلفظ: (يا أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا) انظر صحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، ج3 ص85.

35 ــ رواه الترمذي عن صالح بن حسان قال سمعت سعيد بن المسيب يقول: إن الله طيب يحب الطيب نظيف يحب النظافة كريم يحب الكرم، وقال الترمذي حديث غريب، انظر صحيح الترمذي كتاب الاستئذان والآداب ،باب ما جاء في النظافة ج8 ص67 .

36 ــ القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، القاهرة: دار الكتاب العربي، سنة 1387هـ، 1967م، ج7، ص327 .

37 ــ روح المعاني، ج9 ص132.

38 ــ الغزالي، إحياء علوم الدين، دار الكتاب العربي ، بيروت، 43/8.

39 ــ ابن تيمية، رسائل في العقيدة، 458/5

40 ــ سورة الروم الآية:01

41 ــ الآلوسي، روح المعاني، ج20 ص21.

42 ــ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، دار الكتب الشرقية، تونس، 188/9.